

القرآن فقرأ عليه الصلاة والسلام لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب فقروا فيها ولو أن ابن آدم سأل وديا من مال فاعطيه يسأل ثانيا ولو سأل ثانيا فاعطيه يسأل ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وان الدين عند الله الحنيفية غير الشركية ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل ذلك فلن يكفره وفي بعض الآثار أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اقرأه هكذا ما كان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحف مطهرة فيها كتب قيمة ان أقوم الدين الحنيفية مسلحة غير مشركية ولا يهودية ولا نصرانية ومن يعمل صالحا فلن يكفره وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وفارقوا الكتاب لما جاءهم أولئك عند الله شر البرية ما كان الناس الا أمة واحدة ثم ارسل الله النبيين مبشرين ومنذرين يأمرن الناس يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويعبدون الله وحده أولئك عند الله خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدن فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه أخرج ذلك ابن مردويه عن أبي رضي الله تعالى عنه وهو مخالف لما صح عنه فلا يعول عليه كالا يخفى على العارف بعلم الحديث

سورة الزلزلة

ويقال سورة اذا زلزلت وهي مكية في قول ابن عباس ومجاهد وعطاء ومدينة في قول قتادة ومقاتل واستدل له في الاتقان بما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال لما نزلت فمن يمسلم متقال ذرة النخ قلت يا رسول الله اني لراه عملي قال نعم قلت تلك الكبار الكبار قال نعم قلت الصغار الصغار قال نعم قلت وانسكل أمي قال أبشر يا أبا سعيد فان الحسنه بعشر أمثالها الحديث وأبو سعيد لم يكن الا بالمدينة ولم يبلغ إلا بعد أحد وآياتها ثمان في الكوفي والمدني الاول وتسع في الباقية وصح في حديث الترمذي والبيهقي وغيرها عن ابن عباس مرفوعا اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وجاء في حديث آخر تسميتها ربعا ووجه ما في الاول بأن أحكام القرآن تنقسم الى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة وهذه السورة تشتمل على أحكام الآخرة اجمالا وزادت على القارة باخراج الانتقال ومحدث الاخبار وما في الآخرة بان الايمان بالبعث الذي قررته هذه السورة ربع الايمان في الحديث الذي رواه الترمذي لا يؤمن عبيد حتى يؤمن بربع يشهد أن لا إله الا الله وأنى رسول الله بعثي بالحق ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعبد الموت ويؤمن بالقدر وسياتي ان شاء الله تعالى ما يتعلق بهذا المقام وكأنه لما ذكر عز وجل في السورة السابقة جزاء الفريقين المؤمنين والكافرين كان ذلك كالمحرك للسؤال عن وقته فينبه جل شأنه في هذه السورة فقال عز من قائل

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) أي الزلزلة الخصوص بها الذي تقتضيه بحسب المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده زلزال فكان ما سواه ليس زلزالا بالنسبة اليه أو زلزالا المعجيب الذي لا يقدر قدره فلاضافة على الوجهين للمهد ويجوز أن يراد الاستفراق لان زلزالا مصدر مضاف فيعم أي زلزالا كله وهو استفراق عرفي قصد به المبالغة وهو مراد من قال أي زلزالا الداخلة في حيز الامكان أو عنى بذلك المهد أيضا وقرأ الجحدري وعيسى زلزالا بفتح الزاي وهو عند ابن عطية مصدر كالزلزال بالكسر وقال الزمخشري المكسور مصدر والمفتوح

اسم للحركة المعروفة وانتصب ههنا على المصدر تجوزا لسده مسدا المصدر وقال أيضا ليس في الأبنية فعلال بالفتح الا في المضاعف وذكروا أنه يجوز في ذلك الفتح والكسر الا ان الاغلب فيه اذا فتح أن يكون بمعنى اسم الفعل كصلصال بمعنى متصلل وقضقاض بمعنى مقضقض وووسواس بمعنى موسوس وليس مصدرا عند ابن مالك وأما في غير المضاعف فلم يسمع الا نادرا سواء كان صفة أو اسما جامدا وبهرام وبسطام معربان ان قيل بصحة الفتح فيهما ومن النادر خزعل بمعجمتين وهو الناقة التي بها ظلع ولم يثبت بمضم غير وزاد ثعلب فهما زوا هو الحجر الصلب وقيل هو جمع وقيل هو لغة ضيفة والفصيحة فهقر بتشديد الراء و زاد آخر قسطالا وهو الثبار وهذا الزلزال على ما ذهب اليه جمع عند النفخة الثانية لقوله تعالى ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْمَالَهَا ﴾ فقد قال ابن عباس أي موتاها وقال النقاش والزجاج ومنذر بن سعيد أي كنوزها وموتها وروى عن ابن عباس أيضا وهذه الكنوز على هذا القول غير الكنوز التي تخرج أيام الدجال على ما وردت به الاخبار وذلك بان تخرج بعضا في أيامه وبعضا عند النفخة الثانية ولا بعد في أن تكون بعد الدجال كنوز أيضا فتخرجها مع ما كان قد بقي يومئذ وقيل هو عند النفخة الاولى وأثقالها ما في جوفها من الكنوز أو منها ومن الاموات ويعتبر الوقت ممثدا وقيل يحتمل أن يكون اخراج الموتى كالكنوز عند النفخة الاولى واحياؤها في النفخة الثانية وتسكون على وجه الارض بين النفختين وأنت تعلم انه خلاف ما تدل عليه النصوص وقيل انها ترزل عند النفخة الاولى فتخرج كنوزها وترزل عند الثانية فتخرج موتاها وأريد هنا بوقت الزلزال ما يعم الوقتين واقتصر بعضهم على تفسير الانتقال بالكنوز مع ككون المراد بالوقت وقت النفخة الثانية وقال تخرج الارض كنوزها يوم القيامة ليراها أهل الموقف فيتحسر العصاة اذا نظروا اليها حيث عصوا الله تعالى فيها ثم تركوها لا تفتنى عنهم شيئا وفي الحديث تأتي الارض أفلاذ كبدها امثال الاسطوانات من الذهب والفضة فيجىء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجىء القاطع فيقول في هذا قطعت رحى ويجىء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا وقيل ان ذلك لتكوى بها جباه الذين كنزوا وجنوبهم وظهورهم وأياما كان فالانتقال جمع ثقل بالتحريك وهو على ما في القاموس متاع المسافر وكل نفيس مصون وتجوز به ههنا على سبيل الاستعارة عن الثاني ويجوز أن يكون جمع ثقل بكسر فسكون بمعنى حمل البطن على التشبيه والاستعارة أيضا كما قال الشريف المرتضى في الدرر وأشار الي أنه لا يطلق على ما ذكره الا بطريق الاستعارة ومنهم من فسر الانتقال ههنا بالاسرار وهو مع مخالفته للمعنى نور بعيد واظهار الارض في موقع الاخبار لزيادة التقرير وقيل للإيحاء الى تبديل الارض غير الارض أو لان اخراج الارض حال بعض أجزائها والظاهر ان اخراجها ذلك مسبب عن الزلزال كما ينفص البساط ليخرج ما فيه من الغبار ونحوه وأما اختيار الواو على انفاء تفويضا لذهن السامع كذا قيل ولعل الظاهر انه لم ترد السبية والمسبية بل ذكر كل مما ذكر من الحوادث من غير تعرض لتسبب شئ منها على الآخر ﴿ وَقَالَ الْإِنْسَانُ ﴾ أي كل فرد من أفراد الانسان لما يهرم من الطامة التامة ويدهمهم من الدهاية العامة ﴿ مَا لَهَا ﴾ ترزلت هذه المرتبة من الزلزال وأخرجت ما فيها من الانتقال استعظاما لما شاهدوه من الامر الهائل وقد سيرت الجبال في الجوى وصيرت هباء وذهب غير واحد الى ان المراد بالانسان الكافر غير المؤمن بالبعث والاطهر هو الاول على أن المؤمن يقول ذلك بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ بدل من اذا وقوله تعالى ﴿ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ أي الارض واحتمال كون الفاعل مخاطب كما زعم الطبرسي لا وجه له عامل فيهما وقيل العامل مضمرة يدل عليه مضمون الجمل بعد والتقدير يحشرون اذا زلزلات ويومئذ متعلق

بتحدث واذا عليه مجرد الظرفية وقيل هي نصب على المفعولية لا ذكر محذوقا أى اذدر ذلك الوقت فليست ظرفية ولا شرطية وجوز ان تكون شرطية منصوب بجواب مقدر أى يكون مالا يدرك كنهه أو نحوه والمراد يوم اذ زلزلت زلازلها وأخرجت أبقالها وقال الانسان مالها تحدث الخلق ما عندها من الاخبار وذلك بان يخلق الله تعالى فيها حياة وداكا وتتكلم حقيقة فتشهد بما عمل عليها من طاعة أو معصية وهو قول ابن مسعود والثورى وغيرها ويشهد له الحديث الحسن الصحيح الغريب أخرج الامام أحمد والترمذى عن أبى هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها ثم قال أنذرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها ان تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا فهذه اخبارها والباء في قوله تعالى (بان ربك أوحى لها) للسببية أى تحدث بسبب ايجاء ربك لها وأمره سبحانه اياها بالتحديث واللام بمعنى الى أى أوحى اليها لان المعروف تمدى الوحى بها كقوله تعالى (وأوحى ربك الى النحل) لكن قد يتمدى باللام كما في قول المجاج يعف الارض أوحى لها القرار فاستقرت * وشدها بالراسيات الثابت ولعل اختيارها للمراعاة الفواصل وجوز أن تكون اللام للتبديل أو المنفعة لان الارض بتحديثها بعمل المعصاة يحصل لها تشفى منهم بفضحها اياهم بذكر قبائحهم والموحى اليه هي أيضا والوحى محتمل ان يكون وحى الهام وان يكون وحى ارسال بان يرسل سبحانه اليها رسولا من الملائكة بذلك وقال العابرى وقوم التحديث استمارة أو مجاز مرسل لمطلق دلالة حالها والايحاء احداث ما تدل به فيحدث عز وجل فيها من الاحوال ما يكون به دلالة تقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول مالها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا ما كانت الانبياء عليهم السلام يندرونه ويحذرونه وما يعلم هو أخبارها وقيل اليجاء على تقدير كون التحديث حقيقيا أيضا مجاز عن أحداث حالة ينطقها سبحانه بها كايجاد الحياة وقوة التكلم والاختيار على ما سمعت أنفا وقال يحيى بن سلام تحدث بما أخرجت من أبقالها ويشهد له ما في حديث ابن ماجه في سننه تقول الارض يوم القيامة يارب هذا ما استودعتنى وعن ابن مسعود تحدث بقيام الساعة اذا قال الانسان مالها فتخبر أن أمر الدنيا قد انقضى وأمر الآخرة قد أتى فيكون ذلك جوابا لهم عند سؤالهم وقال الزمخشري يجوز أن يكون المعنى تحدث بتحديث أن ربك أوحى لها أخبارها على أن تحدثها بان ربك أوحى لها تحديث باخبارها كما تقول نصحتنى كل نصيحة بان نصحتنى في الدين فاخبارها عليه هو أن ربك أوحى لها والباء تجريدية مثلها في قولك لئن لقيت فلانا لتلقين به رجلا متناهيا في الخبر وكان الظاهر تحدث بخبرها بالافراد وكذا على ما قبله من الوجوه لكن جمع للمبالغة كما يشير اليه المثال ونحوه قول الشاعر

فانالى كل التى بزيارة * كانت محالسة كحطفة طائر

فلوا استطعت خلعت على الدجى (١) * لتطول ليلتا سواد الناظر

ولا يخفى بعده وبالغ أبو حيان في الخط عليه فقد هو غفش يزه القرآن عنه وأراد بالمفش بعين مهملة وقاموشين معجبة ما يندنس المنزل من الكناسة وهي كلة تستعملها في ذلك عوام أهل المغرب وليس كما قول وجوز أيضا أن يكون بان ربك الخ بدلا من أخبارها كانه قيل يومئذ تحدث بان ربك أوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا فيصح ابدال بان الخ من أخبارها وان أحدهما مجرور والآخر منصوب لانه يحل محله في بعض الاستعمالات وليس ذلك في الامتناع خلافا لابی حيان كما استغفرت الذنب العظيم بنصب الذنب وجر العظيم على انه نعمت له باعتبار قولهم استغفرت من الذنب لان

(١) قوله فلوا الخ كذا في النسخ ولا يخفى على من له الملم بالشمع ما فيه اه

البذل هو المقصود فهو في قوة عامل آخر بخلاف النعمت نعم هو أيضا خلاف الظاهر وبعد كل ذلك اللائق أن لا يمدل عن المأثور لاسيما اذا صح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقي هنا بحث وهو أنهم اختلفوا في نحو حدثت هل هو متعد الى مفعول واحد أو الى أكثر فذهب الزمخشري وغيره ونقل عن سيويه الى الثاني وهو عندهم ملحق بافعال القلوب فينصب مفعولين كحدثت زيدا الخبرا وثلاثة كحدثته عمرا قائما فاخبارها عليه هو المفعول الثاني والمفعول الاول محذوف كما أشرنا اليه ولم يذكر لانه لا يتعلق بذكره غرض اذ الغرض تهويل اليوم وانه مما ينطق فيه الجماد بقطع النظر عن الحدث كائنا من كان وقال الشيخ ابن الحاجب إنما هو متمد لواحد وما جاء بعده لتعين المفعول المطلق فعمرا قائما في حدثت زيدا عمرا قائما منصوب لوقوعه موقع المصدر لالكونه مفعولا ثانيا وثالثا ولا يقال كيف يصح أن يقع ما ليس بفعل في المعنى أعني عمرا قائما مصدرا لانه لم يكن مصدرا باعتبار كونه عمرا قائما ولكن باعتبار كونه حديثا خصوصا فالوجه الذي صحح الاخبار به عن الحديث اذا قلت حديث زيد عمرو قائم هو الذي صحح وقوعه مصدرا فاخبارها عليه في موقع المفعول والمفعول به محذوف لما تقدم بل قال بعضهم انك اذا قلت حدثته حديثا أو خبرا فلا نزاع في انه مفعول مطلق والظاهر أن الاخبار في زعمه كذلك وتعب ذلك في الكشف بأن ما ذكره الشيخ غير مسلم فانه لم يفرق بين التحديث والحديث والاول هو المفعول المطلق وكيف وهو يجر بالباء فتقول حدثته الخبر وبالحجر ومعلوم أن ما دخل عليه الباء لا يجوز أن يكون مفعولا مطاوقا قد يقال كون الشيخ لم يفرق في حيز المنع وكيف يخفى مثل ذلك على من له لسانه فأنزل بأن أثر المصدر ومعلقه قد سدمسده فيما ذكر كما سدمسده آتته في نحو ضربته سوطا وامل ما قرره في غير مادخلته الباء وقال الطيبي يمكن أن يقال ان حدثت واخواتها متعديات الى مفعول واحد حقيقة وجملة متعديات الى ثلاثة أو الى اثنين تجوز أو تضمنين لمضى الاعلام واستأنس له بكلام نقله عن المفصل وكلام نقله عن صاحب الاقليد فتأمل وقرأ ابن مسعود تني أخبارها وسعيد بن جبير تني بالتخفيف ﴿يَوْمَ مَئِيذٍ﴾ أى يوم اذ ماذكر وهو يقع ظرف لقوله تعالى ﴿يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ يخرجون من قبورهم بعد أن دفنوا فيها الى موقف الحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين وزاكبين وماشين ومقيدين بالسلاسل وغير مقيدين وعن بعض السلف متفرقين الى سعيد وأسعد وشقي وأشقي وقيل إلى مؤمن وكافر وعن ابن عباس أهل الايمان على حدة وأهل كل دين على حدة وجوز أن يكون المراد كل واحد وحده لانصر له ولا عاضد كقوله تعالى ولقد جئتهونا فرادى وقيل متفرقين بحسب الافطار ﴿لِيرَوَا أَعْمَالَهُمْ﴾ أى ليصبروا جزاء أعمالهم خيرا كان أو نمرأ فالرؤية بصرية والكلام على حذف مضاف أو على انه تجوز بالاعمال عما يتسبب عنها من الجزاء وقدر بعضهم كتب أو صحائف وقال آخر لاحاجة إلى التأويل والاعمال تجسم نورانية وظلمانية بل يجوز رؤيتهما مع عرضيتها وهو كما ترى وقيل المراد ليعرفوا أعمالهم ويوقفوا عليها تفصيلا عند الحساب فلا يحتاج الى ما ذكر أيضا وقال النقاش الصدور مقابل الورود فيردون المحشر ويصدرون منه متفرقين يقوم الى الجنة وقوم الى النار ليروا جزاء أعمالهم من الجنة والنار وليس بذلك وأما كان فقوله تعالى ليروا متعلق بصدور وقيل هو متعلق بأوحى لها وما بينهما اعتراض وقرأ الحسن والاعرج وقناة وحماد بن سلمة والزهرى وأبو حيوة وعيسى ونافع في رواية ليروا بفتح الباء وقوله تعالى ﴿فَنَ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ تفصيل ليروا والذرة نامة صغيرة حمراء رقيقة ويقال انها تجري اذا مضى لها حول وهي علم في الفقه

قال امرؤ القيس

من القاصرات الطرف لودب محول من الذر فوق الانب منها لاثرا

وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء وأخرج هناد عن ابن عباس انه أدخل يده في التراب ثم رفعه ثم نفخ فيها وقال كل واحدة من هؤلاء مثقال ذرة وانتصاب خيرا وشرا على التمييز لان مثقال ذرة مقدار وقيل على البدلية من مثقال والظاهر أن من في الموضوعين عامة المؤمن والكافر وان المراد من رؤية ما يعادل مثقال ذرة من خيرا وشرا مشاهدة جزائه بان يحصل له ذلك واستشكل بان ذلك يقتضى اثابة الكافر بحسناته وما يفعله من الخير مع أنهم قالوا أعمال الكفرة محبطة وادعى في شرح المقاصد الاجماع على ذلك كيف وقد قال سبحانه وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال عز وجل أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وقال تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد الآية وكون خيرهم الذي يروونه تخفيف العذاب يدفعه قوله تعالى فلا يخفف عنهم العذاب وقوله سبحانه زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ويقتضى أيضا عقاب المؤمن بصغائرهم اذا اجتنب الكبائر مع أنهم قالوا انها مكفرة حينئذ لقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقول ابن المنير ان الاجتناب لا يوجب التكفير عند الجماعة بل التوبة أو مشيئة الله تعالى ليس بشيء لان التوبة والاجتناب سواء في حكم النص ومشيئة الله تعالى هي السبب الاصيل فالترجم بعضهم كون المراد بمن الاولى السعداء وبمن الثانية الاشقياء بناء على ان فن يعمل الخ تفصيل ليصدر الناس أشناتا وكان مفسرا بما حاصله فريق في الجنة وفريق في السعير فالناسب أن يرجع كل فقرة الى فرقة لتطابق المفصل المجمل ولان الظاهر قوله سبحانه فن يعمل ومن يعمل بتكرير أداة الشرط يقتضى التساير بين العاميين وقال آخرون بالعموم الا ان منهم من قال في الكلام قيد مقدر ترك لظهوره والسلم به من آيات أخر فالتقدير فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ان لم يحبط ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ان لم يكفر ومنهم من جعل الرؤية أعم مما تكون في الدنيا وماتكون في الآخرة فالكافر يرى جزاء خيره في الدنيا وجزاء شره في الآخرة والمؤمن يرى جزاء شره في الدنيا وجزاء خيره في الآخرة فقد روى البغوي وابن جرير وابن المنذر وغيرهم عن محمد بن كعب القرظي انه قال فن يعمل مثقال ذرة من خيرا وهو كافر فانه يرى ثواب ذلك في الدنيا في نفسه وأهله وماله حتى يبلغ الآخرة وليس له فيها خيره من يعمل مثقال ذرة من شرا وهو مؤمن كوفي ذلك في الدنيا في نفسه وأهله وماله حتى يبلغ الآخرة وليس عليه فيها شر وأخرج الطبراني في الاوسط واليه في الشعب وابن أبي حاتم وجماعة عن انس قال بيننا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يأكل مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ نزلت عليه فن يعمل مثقال ذرة الآية فرفع أبو بكر يده وقال يا رسول الله اني لراة ما عملت من مثقال ذرة من شر فقال عليه الصلاة والسلام يا أبا بكر أرايت ما ترى في الدنيا مما تكره فبما قيل ذر الشر ويدخر لك مثاقيل ذر الخير حتى نوفاه يوم القيامة وفي رواية ابن مردويه عن أبي أيوب انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له اذرفع يده من عمل منكم خيرا فجزاؤه في الآخرة ومن عمل منكم شرا يره في الدنيا مصيبات وأمراضا ومن يكن فيه مثقال ذرة من خير دخل الجنة ومنهم من قال المراد من رؤية ما يعادل ذلك من الخير والشر مشاهدة نفسه عن غير أن يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المحتجب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته وبمحبط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه وبه يشعر ما أخرج ابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث عن ابن عباس من قوله في الآية ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا وشرا في

الدنيا الا اراه الله تعالى اياه فاما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر له من سيئاته وينيبه بحسناته واما الكافر فيرى به حسناته وسيئاته فيرد حسناته ويعذبه بسيئاته واختار هذا الطبعي فقال انه يساعده النظم والمعنى والاسلوب أما النظم فان قوله تعالى فمن يعمل الخ تفصيل لما عقب به من قوله سبحانه يصدر الناس اشتاتا ليروأعمالهم فيجب التوافق والاعمال جمع مضاف يفيد الشمول والاستفراق ويصدر الناس مفيد بقوله عز وجل اشتاتا فيفيد أنهم على طرائق شتى للنزول في منازلهم من الجنة والنار بحسب أعمالهم المختلفة ومن ثم كانت الجنة ذات درجات والنار ذات دركات وأما المعنى فاتها وردت لبيان الاستقصاء في عرض الاعمال والجزاء عليها كقوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وأما الاسلوب فاتها من الجوامع الحاوية لفوائد الدين أصلا وفروعا رويها عن البخاري ومسلم عن أبي هريرة سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الحر أي عن صدقتها قال لم ينزل علي فيها شيء الا هذه الآية الجامعة الفاذة أي المتفردة في معناها فتلاها عليه الصلاة والسلام وروى الامام أحمد عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق انه أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقرا عليه الآية فقال حسبي لا أبالي ان لا أسمع من القرآن غيرها انتهى وأقول الظاهر عموم من وكون المراد رؤية الجزاء كما تقدم وكذا الظاهر كون ذلك في الآخرة ولا اشكال وذلك لان الفقرة الاولى وعدو الثانية وعيدو مذهبنا ان الوعد لازم الوقوع تفضلا وكرما والوعيد ليس كذلك فيفوض أمر الشر في الثانية على الدلائل وهي ناطقة بانه ان كان كفرا لا ينفرد وان كان صغيرة من مؤمن محتب الكبائر يكفر وان كان كبيرة من مؤمن أو صغيرة منه وهو غير محتب الكبائر فتحت المشيئة وخبرا أنس وأبي أيوب السابقان لا يبيان ذلك بعد التامل ولا يبعد فيها أرى أن يكون ماعدا الكفر من الكافر كذلك وأما أمر الخير فباق على ما يقتضيه الظاهر وهو بالنسبة الى المؤمن ظاهر واما بالنسبة الى الكافر فتخفيف العذاب للاحاديث الصحيحة فقد ورد ان حاتما يخفف الله تعالى عنه لكرمه وان أباهب كذلك لسروره بولادة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واعتاقه لجاريتة ثوبية حين بشرته بذلك والحديث في تخفيف عذاب أبي طالب مشهور وما يدل على عدم تخفيف العذاب فالعذاب فيه محمول على عذاب الكفر بحسب مراتبه فهو الذي لا يخفف والعذاب الذي دلت الاخبار على تخفيفه غير ذلك ومعنى احباط اعمال الكفار انها لا تنجيهم من العذاب الخلد كاعمال غيرهم وهو معنى كونها سرا با وهباء ودعوى الاجماع على احباطها بالكلية غير تامة كيف وهم مخاطبون بالتكاليف في المعاملات والجنبايات اتفاقا والخلاف انما هو في خطابهم في غيرها من الفروع ولا شك انه لا معنى للخطاب بها الاعقاب تاركها وثواب فاعلها وأقله التخفيف والى هذا ذهب العلامة شهاب الدين الخفاجي عليه الرحمة ثم قال وما في التبصرة وشرح المشارق وتفسير التلمبي من أن أعمال الكفرة الحسنة التي لا يشترط فيها الايمان كانهاء الفريق واطفاء الحريق واطعام ابن السبيل يجوزون عليها في الدنيا ولا تدخر لهم في الآخرة كالمؤمنين بالاجماع لتصريح به في الاحاديث فان عمل أحدهم في كفره حسنات ثم أسلم اختلف فيه هل يناب عليها في الآخرة أم لا بناء على أن اشتراط الايمان في الاعتداد بالاعمال وعدم احباطها هل هو بمعنى وجود الايمان عند العمل أو وجوده ولو بعد لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث أسلمت على ما سلف لك من خير غير مسلم ودعوى الاجماع فيه غير صحيحة لان كون وقوع جزائهم في الدنيا دون الآخرة كالمؤمنين مذهب لبعضهم وذهب آخرون الى الجزاء بالتخفيف وقال الكرمانى ان التخفيف واقع لكنه ليس بسبب عمائم بل لامر آخر كشفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورجائه ومنه ما يكون

لابي لهب كما قال الزركشي انتهى ولقائل ان يقول ان الشفاعة من آثار عمل المشفوع الخير أيضا فتأمل
وسبب نزول الآية على ما أخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير أنه لما نزل ويظلمون الطعام على حبه
كان المسلمون يرون انهم لا يؤجرون على الشيء القليل اذا أعطوه فيجئ المسكين الى أبوابهم فيستقلون
ان يعطوه التمرة والبسرة فيردونه ويقولون ما هذا بشيء إنما تؤجر على ما تعطى ونحن نجبه وكان آخرون
يرون انهم لا يلامون على الذنب اليسير الكذبة والنظرة والغبية واشباه ذلك ويقولون إنما وعد الله تعالى
النار على الكبائر فنزلت الآية ترغيبهم في القليل من الخير ان يملوه وتحذرهم اليسير من الشر أن يملوه
وفيها من دلالة الخطاب مالا يخفى وقد كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم بمداه يتصدقون بما قل وكثر
فقد روى ان عائشة رضى الله تعالى عنها بعث اليها ابن الزبير بمائة ألف وثمانين ألف درهم في غرارين فدعت
بطبق وجعلت تقسمها بين الناس فلما أمست قالت لجارية لها على وكانت صائمة فجاءت بخبز وزيت فقالت
ما أمسكت لنا درهما نشترى به لحماً نفطر عليه فقالت لو ذكرتيني لفلت وجاء في عدة روايات انها أعطت
سائلاً يوماً حبة من غنم فقيل لها في ذلك فقالت هذه أنفل من ذر كثير ثم قرأت الآية وروى نحو هذا
عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن مالك رضى الله تعالى عنهم وكان غرضهم تلميم الناس انه لا بأس
بالتصدق بالقليل ولهم بذلك أسوة برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقد أخرج الزجاجة في أماليه
عن أنس بن مالك أن سائلاً أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاعطاه تمرة فقال السائل نبي من الانبياء
بالتصدق بتمرة فقال عليه الصلاة والسلام أما علمت فيها مثاقيل ذر كثيرة وجاء انه عليه الصلاة والسلام قال
اتقوا النار ولو بشق تمرة ثم قرأ الآية وتقديم عمل الخير لانه أنصرف القسمين والمقصود بالاصالة لا يخفى
حسن موقعه ويعلم منه ان هذا الاحصاء لا ينافي كرمه عز وجل المطلق وما يحكى من ان اعرابياً أخر خيراً
يره فقيل له قدمت وأخرت فقال

خذا بطن هرثى أو قفاها فانه * كلا جاني هرثى لهن طريق

ففغلة عن الاطائف القرآنية أوله أراد انه فيما يتعلق بالعمل لا بأس به قدم أو أخر لان القراءة به جائزة وقرأ الحسين
ابن على على جده وعليهما الصلاة والسلام وابن عباس رضى الله تعالى عنهما وعبد الله بن مسلم
وزيد بن على وأبو حيوة والسكلي وخليفة بن نشيط وأبان عن عاصم والكسائي في رواية حميد بن
الربيع عنه يره بضم الياء في الموضهين وقرأ هشام وأبو بكر يره بسكون الهاء فيهما وأبو عمرو
بضمها شبعة وباقي السبعة بالاشباع في الاول والسكون في الثانى والاسكان في الوصل لغة حكاهما
الاخفش ولم يحكها سيويه وحكاهما الكسائي أيضاً عن بنى كلاب وبنى عقيل وقرأ عكرمة يراه بالالف
فيهما وذلك على لغة من يرى الجزم بحذف الحركة المقدرة على حرف العلة كما حكى الاخفش او على ما يقال
في غير القرآن من نون ان من موصولة لاشراطية كما قيل في قوله تعالى انه من يتق ويصبر في قراءة من
أثبت ياه يتق وجزم يصبر وجوز ان تكون الالف الاشباع والوجه الاول أولى والله تعالى أعلم

سورة العاديات

مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء مدينة في قول أنس وقتادة واحدى الروايتين
عن ابن عباس وقد أخرج عنه البزار وابن المنذر وابن ابي حاتم والدارقطنى في الافراد وابن مردويه انه
قال بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خيلاً فاستمرت شهراً لا ياتيه منها خبر فنزلت والعاديات الخ